

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة السابعة والتسعون

## البخاري (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، ذلك الفتى الذي أعجب المحدثين فكتبوا عنه وحكموه في الحديث ولم يجاوز الثامنة عشرة من عمره ، إنه محمد بن إسماعيل البخاري (رحمه الله) .

كم يحتاج شباب الإسلام في هذا الزمان وفي كل زمان إلى نماذج رائعة من الرجال الأفاضل ليكونوا لهم نبراساً وعلماً ، ليهتدوا بهديهم ويسيروا على نهجهم، أمثال محمد بن إسماعيل البخاري (رحمه الله) الذي أثبت مكانته في المجتمع المسلم بالعلم النافع والعلم الصالح، فأصبح ذكره العطر (رحمه الله) على كل لسان من أهل الحق ، فهذا أبو الطيب حاتم بن منصور يقول: محمد بن إسماعيل آية من آيات الله في بصره ونفاذه من العلم .

وقال رجاء الحافظ : فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء، فقال له رجل يا أبا محمد كل ذلك بمرّة؟ فقال هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض. وصاحب العلم والتقوى لا يتوقف إجلال الناس له وثناؤهم عليه بالقول فحسب، بل بالفعل أيضاً فاستمع إلى محمد بن يوسف حيث يقول : كان زكريا اللؤلؤي والحسن بن شجاع يمشيان مع أبي عبد الله إلى المشايخ إجلالا له وإكراما .

وقال محمد بن يوسف قال كنا مع أبي عبد الله عند محمد بن بشار فسأله محمد بن بشار عن حديث فأجابه فقال هذا أفقه خلق الله في زماننا وأشار إلى محمد بن إسماعيل .

وقال سليم بن مجاهد : لو أن وكيعا وابن عيينة وابن المبارك كانوا في الأحياء لاحتاجوا إلى محمد بن إسماعيل .

وقال أبو عمرو الكرماني سمعت عمرو بن علي الصيرفي يقول أبوعبد الله صديقي لم ير بخراسان مثله .

وقال محمد بن أبي حاتم سمعت أبا سعيد الأشج وخرج إلينا في غداة باردة وهو يرتعد من البرد فقال أياكون عندكم مثل ذا البرد فقلت مثل ذا يكون في الخريف والربيع وربما نمسي والنهر جار فنصبح ونحتاج إلى الفأس في نقب الحمد فقال لي من أي خراسان أنت قلت من بخارى فقال له ابنه هو من وطن محمد بن إسماعيل، فأثنى عليه .

وقال محمد بن يوسف الهمداني كنا عند قتيبة بن سعيد فجاء رجل شعرائي يقال له أبو يعقوب فسأله عن محمد بن إسماعيل فنكس رأسه ثم رفعه إلى السماء فقال يا هؤلاء نظرت في الحديث ونظرت في الرأي وجالست الفقهاء والزهاد والعباد ما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل.

وقال الإمام الجليل أحمد بن حنبل : لم يجئنا من خراسان مثل محمد بن إسماعيل . وقال أبو عبد الله الحاكم محمد بن إسماعيل البخاري إمام أهل الحديث.

وقال أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظ له من محمد بن إسماعيل ثم قال الحاكم سمعت محمد بن يعقوب الحافظ يقول سمعت أبي يقول رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري يسأله سؤال الصبي .

وقال أحمد ابن حمدون : رأيت محمد بن إسماعيل في جنازة سعيد بن مروان ومحمد بن يحيى الذهلي يسأله عن الأسامي والكنى والعلل ومحمد بن إسماعيل يمر فيه مثل السهم كأنه يقرأ قل هو الله أحد .

والإمام مسلم أيضاً يجله ويعظمه ، فقد جاء إلى البخاري مرة فقال دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطيب الحديث في علله .

واستمع إلى الترمذي وهو يقول : لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل . وقال أبو عيسى الترمذي أيضاً : كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير فلما قام من عنده قال له يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة قال الترمذي استجيب له فيه .

ولم توقف مكاتته (رحمه الله) عند هذا الحد بل إن أهل العلم يتواصلون بالحرص عليه والاستفادة منه (رحمه الله) فقد جاءه مرة عمرو بن زرارة ومحمد بن رافع يسألانه عن علل الحديث، فلما قاما قالوا لمن حضر لا تخدعوا عن أبي عبد الله فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر .

وفي هذا الموقف أيضاً درس لأهل العلم من الشباب ونحوهم في الاعتراف بالفضل لغيرهم وتفضيله على أنفسهم ، فإن هذا الأمر دليل على تجرد النفس من طلب السمعة والرفعة والمكانة عند الآخرين ، ودليل على قوة الإخلاص وفائدة العلم النافع على المتعلمين .

وعن حاشد بن عبد الله قال : كنا عند إسحاق وعمرو بن زرارة ثم وهو يستملي على البخاري وأصحاب الحديث يكتبون عنه وإسحاق يقول هو أبصر مني وكان محمد يومئذ شابا .

وهذا الموقف الأخير يبين لنا أن تلك المكانة للإمام البخاري (رحمه الله) لم تكن له عندما تقدم به العمر ، وتقدمت به السن ، بل بلغها وهو في سن الشباب ، ولا شك أنه حيناً كبر وتقدمت به السن ازداد علماً ومكانة في قلوب الخلق .

وعلى هذا فإن الدرجة العلمية في العلم ليست مقصورة على كبار السن من الشيوخ نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمد بأعمارهم، وأن ينفع بهم الإسلام والمسلمين ، أقول إن الدرجة العالية في العلم متاحة للشباب أيضاً، لمن رزقهم الله سبحانه وتعالى الإخلاص والجد في الطلب والقدرة على التحصيل .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

